٣٨٦

من بعد ما فتنوا يعني عذبوا ومنعوا من الدخول في الاسلام ففتنهم المشركون ثم جاهدوا وصبروا يعني عن
الايمان والهجرة والجهاد ان ربك من بعدها يعني بعد الفتنة التي فتنوها لغفور رحيم نزلت هذه الاية في عياش
ابن ربيعة وكان اخا ابا جهل من الرضاعة وقيل كان اخاه من امه وفي ابي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن المغيرة
ابن سلمة بن هشام وعبد الله بن اسد الثقفي ففتنهم المشركون وعذبوهم فاعطوهم بعض ما ارادوا ليسلموا من
شرهم ثم انهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه الاية في عبد الله بن ابي سرح
كان قد اسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم
فتح مكة امر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره عثمان وكان اخوه لامه فاجاره رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاتى به فاسلم وحسن اسلامه وهذا القول انما صح اذا قلنا ان هذه الاية مدنية نزلت بالمدينة
فتكون من الايات المدنيات في السور المكيات والله اعلم بحقيقة ذلك قوله تعالى يوم تاتي كل نفس
تجادل عن نفسها يعني تخاصم وتحتج عن نفسها اعما اسلفت من خير وشر اشتغله بالمجادلة لا يتفرغ الى غيرها
وقال ان قلت النفس هي واحدة وليس لها نفس اخرى فما معنى قوله كل نفس تجادل عن نفسها قلت
ان النفس قد يراد بها بدنه وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته والنفس الثانية هي بدنه فهو عينها وذاتها
ايضا والمعنى يوم ياتي كل انسان ان يجادل عن ذاته ولا يهمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار بما لا يقبل
منهم كقولهم والله ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات وتوفى كل نفس ما عملت يعني جزاء ما عملت في
الدنيا من خير او شر وهم لا يظلمون يعني لا ينقصون من جزاء اعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا
نقصان وروي ان عمر بن الخطاب قال لكعب الاحبار خوفنا فقال يا امير المومنين والذي نفسي بيده لو وافيت
القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لاتت عليك ساعات تارات وانت لا يهمك الا نفسك فان جهنم
لتزفر زفرة لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل الا جثى على ركبتيه حتى ابراهيم الخليل يقول يا رب
لا اسئلك الا نفسي وان تصديق ذلك فيما انزل الله عليكم يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة
عن ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الاية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح
الجسد فتقول الروح يا رب لم يكن لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها ويقول الجسد خلقتني
كالخشب ليست لي يد ابطش بها ولا رجل امشي بها ولا عين ابصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه به نطق
لساني وبه ابصرت عيناي وبه مشت رجلي فضرب الله مثلا لهما مثل اعمى ومقعد دخلا حايطا يعني
بستانا فيه ثمار فالاعمى لا يبصر الثمرة والمقعد لا ينالها فحمل الاعمى المقعد فاصابا من الثمر فعليهما
العذاب قوله عز وجل وضرب الله مثلا قرية المثل عبارة عن قول يشبه قولا في شيء اخر بينهما
مشابهة لتبيين احدهما الاخر وتصويره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى الافعال من
المعاني اي معنى كان وهو اعم الالفاظ الموضوعة للمشابهة قال الامام فخر الدين الرازي المثل
قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجودا او لم يكن وقد يضرب بشيء موجود
معين فهذه القرية التي ضرب الله بها المثل يحتمل ان يكون شيئا مفروضا ويحتمل ان يكون قرية
معينة وعلى التقدير الثاني فتلك القرية يحتمل ان تكون مكة او غيرها والاكثر من المفسرين رحمهم
الله عليهم على انها مكة والاقرب انها غير مكة لانها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة غير مكة وقال
الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية جعلت القرية التي هذه حالها مثلا لكل
قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله تعالى بهم نقمته فيجوز ان يراد

فيه

فيه قرية مقدرة على هذه الصفة وان يكون في قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا
لمكة انذارا من مثل عاقبتها وقال الواحدي يعني ضرب المثل بيان المشبه والمشبه هنا مضروب المشبه به ولم
يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والاية عند عامة المفسرين نازلة في اهل مكة وما امتحنوا
به من الخوف والجوع بعد الامن والنعمة بتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم تنفروا والاية ضرب
الله مثلا لقريتكم اي بين الله لها شبها ثم قال قرية فيجوز ان يكون القرية بدلا من مثل لانها هي
المثل بها فيجوز ان يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية فحذف المضاف فهذا قول الزجاج والمفسرون
كلهم قالوا اراد بالقرية مكة يعنون انه اراد مكة في تمثيلها بقرية مثلها ما ذكر وقال ابن الجوزي
في هذه القرية قولان احدهما انها مكة والثاني انها قرية اوسع الله على اهلها حتى كانوا يستنجون
بالخبز فبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن واقول هذه الاية نزلت في المدينة في قول مقاتل وبعض
المفسرين وهو الصحيح لان الله وصف هذه القرية بصفات ستة كانت فهذه الصفات موجوده
في اهل مكة فضربها الله مثلا لاهل المدينة يحذرهم ان يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما اصابهم
من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلنا ان الخوف المذكور في هذه الاية في قوله فاذاقها الله لباس
الجوع والخوف هو البعوث والسرايا التي كانت للنبي صلى الله عليه وسلم يبعثها في قول جميع المفسرين
لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يومر بالقتال وهو بمكة وانما امر بالقتال لما هاجر الى المدينة
فكان يبعث البعوث والسرايا الى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله اعلم بمراده واما
تفسير الاية فقوله تعالى وضرب الله مثلا قرية يعني مكة كانت امنة يعني ذات امن لا يهاج
اهلها ولا يغار عليهم مطمئنة اي قارة باهلها لا يحتاجون الى الانتقال عنها للانتجاع كما كان
يحتاج اليه سائر العرب ياتيها رزقها رغدا يعني واسعا من كل مكان يعني يحمل الى اهلها الرزق والميرة
من البر والبحر نظيره قوله تعالى يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة سيدنا ابراهيم عليه السلام
وهو قوله وارزقهم من الثمرات فكفرت يعني هذه القرية والمراد بها اهلها بانعم الله جمع نعمة
والمراد به سائر النعم التي انعم الله بها على اهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي انعم بها عليهم بالجحود
والكفر لا جرم ان الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف وذلك ان الله
سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم الميرة بامر رسول الله
صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا واكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب والميتة والعهن وهو الوبر
يعالج بالدم ويخلط به حتى يوكل حتى كان احدهم ينظر الى السما فيرى شبه الدخان من الجوع ثم ان
روسا مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ما هذا هبك ان عاديت الرجال فما
بال النسا والصبيان فاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حمل الطعام اليهم وهم بعد
مشركين والخوف بعد خوف النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يبعثها للاغارة وكانت
تطيف بهم ويغاورون على من حولهم من العرب فكان اهل مكة يخافونهم **فان قلت**
الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس
المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه وهو ان اللباس لا ينافي بل يليق فيقال كساهم الله
لباس الجوع او يقال فاذاقهم الله طعم الجوع **قلت** قال صاحب الكشاف اما
الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمس الناس منها

Copyright © King Saud University